زمل بين رمال الدنيا **فصل** اعلم ان الاخلاق الحميدة تكون غريزة و
مكتسبة ومع الاكتساب لابد ان يكون في اصل الجبلة شعبة من اصولها
وتكون جالبة لبقيتها ثم انها قد تكون دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله
ولكنها تعد محاسن على كل حال باتفاق العقلاء وقد كان صلى الله عليه وسلم
محتويا على كمالها مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته وكذلك سائر
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم لم يحصلوها بممارسة ولا رياضة
بل بجود الهي وخصوصية ربانية قال القاضي عياض رحمه الله
تعالى وقد نجد بعضهم (غيرهم) يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة
بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق اللسان والسماحة وكما
نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وكل ميسر لما خلق له وهذا اجبى
اذكرها مفصلة من نبينا صلى الله عليه وسلم **فصل** في علمه وحلمه و
احتماله وعفوه وصبره صلى الله عليه وسلم اما العلم فقال تعالى وانزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال تعالى وقل رب زدني علما كلت الالسن عن وصف
قدر منحته من العلم وامر بسؤال الزيادة عليها وقال تعالى فاوحى الى
عبده ما اوحى قال رضي الله عنه ولما كان ما كاشفه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط
به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وقال في
قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال المؤلف

كان الله

١٩١

كان الله له واذا اردت ان تعلم مكانته صلى الله عليه وسلم من العلم فانظر
الى ما تضمنته شريعته من الاصول والفروع ودقايق الاحكام واسرار المعاني
التي جهل وجه الحكمة في اكثرها ولزم الخلق الانقياد لها والتسليم فقال
تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما الى علمه صلى الله عليه وسلم بكتب
الله القديمة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وفنون العلم الثابتة كالعبارة
والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما قد قدمنا الاشارة
اليه في باب المعجزات واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة و
الصبر على ما يكره ومعانيها متقاربة وهي مما تلقاها صلى الله عليه وسلم
عن امر ربه بالقبول والاقبال على مرضاته وبلغ فيها اعلى درجات الكمال
فقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه سال جبريل عن تاويلها
فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب واتاه فقال يا محمد ان الله يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال
تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقال فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل فغير خاف على من تامل احواله واقواله وحققها
معرفة انه صلى الله عليه وسلم قد نزل من هذه الاخلاق منزلة لا ترتقا
وامتطى منها مطية لا تمتطى وانه كان لا يستخفه كثرة الاذى ولا طيش
الجهلا ومن بعض كلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي بكى به النبي
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا عن
اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون

Copyright King Saud University